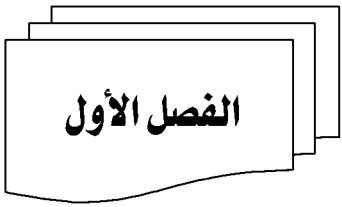

خواطر متفرقة حول الأمـل

ذكر الأمل في القرآن الكريم

لقد ذكر الله تعالى الأمل مرتين في القرآن الكريم: مرة حينما قال تعالى:

{ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا } (الكهف:٤٦).

والمرة الأخرى حينما قال تعالى:

{ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } (الحجر:٣).

ففي الآية الأولى ذُكرت الباقيات الصالحات - وهي قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقيل هي الصلوات الخمس، وقيل هي كل الأعمال الصالحة - أنها خيرٌ عند الله ثوابًا وخيرٌ أملا. فلو لاحظنا أن الأمل في هذه الآية ذُكر في موضع مدح وثناء، أي أن الأعمال الصالحة تعطي لصاحبها الأمل في الدنيا وفي الآخرة وأن ثوابها عظيم عند الله وأجرها عظيم بإذن الله.

وفي الآية الثانية ذُكر الأمل أنه يلهي الذين كفروا عن رؤية الحق وعن الإيمان وعن عمل الخيرات استعدادًا ليوم القيامة، وهنا جاء الأمل في موضع ذم.

وهاتان الآيتان هما الوحيدتان اللتان ذُكر فيهما الأمل في القرآن الكريم... فلعنا نتساءل: هل الأمل يكون في موضع مدح وثناء، أم في موضع ذم وبلاء؟

فأقول إن الأمل يأتي حسب نظرة الإنسان له واستخدامه إياه، فلو أن الإنسان عمل الصالحات والخير وسار في طريق الله وطاعته؛ فيكون أمله خيرًا وحسنًا ومحمودًا؛ لأن أمله في الله سبحانه وتعالى أنه سيعطيه خير الدنيا ويحقق له أحلامه ويكتب له رضوان الله وجنته في الآخرة بإذن الله، ويكون الإنسان مطمئنًا لأن أمله في الله وهو يسير مع الله وكل أعماله الصالحة والنعم التي يعيش فيها من الله.

ولو أن الإنسان لم يسر في طريق الله وغفل ونسي أوامر الله وحسابه وعقابه ولهاه الأمل في الدنيا والحياة وطول العمر ولم يعمل لآخرته ولم يسع لها سعيها؛ فيكون هذا النوع من الأمل أملاً مذمومًا لأنه جعل صاحبه يغفل وينسى الحقيقة الوحيدة الثابتة وهي الموت وأخذ يأمل في طول العمر والبقاء ولا يعدّ العدة للآخرة ولحساب الله ولا يشكره على نعمه ولا يسعى إلى رضوانه وجناته.

الفرق بين طول الأمل وقِصَر الأمل والأمل

يوجد فرق كبير بين طول الأمل وقصر الأمل والأمل الحقيقي الذي نبحث عنه ونسعى إليه ونعيش به.

فإن طول الأمل وقصر الأمل كلاهما مذموم وغير مطلوب، أما الأمل الحقيقي هو النوع المطلوب والمحمود.

فإنَّ طول الأمل هو أن يحلم الإنسان بالأحلام ويظل يحلم بدون عمل وبدون فعل ولا سعي ويقول ما زال عندي الوقت وأمامي العمر طويل فأنا ما زلتُ صغيرًا، أو أنا ما زلت في الشباب.. ويظل يحلم ويحلم بدون أن يعمل ويسعى ويجتهد، ويظل يؤخِّر العمل ويؤجله ويسّوف... إلى أن ينتهي العمر وتضيع فرصة الحياة التي أعطاه الله إياها.. فإنَّ طول الأمل يؤدي إلى الحسرة والندم لأن الإنسان يعتمد على الأحلام الكاذبة التي لا يمكن أن تتحول إلى حقيقة بدون عمل وسعي ويعتمد أيضًا على التسويف ولا يأخذ بالأسباب ويركن إلى التراخي والتكاسل حتى تضيع الفرصة وينتهي العمر ويخسر الإنسان في الدنيا والآخرة.

وأما قصر الأمل فهو أن يكون أمله في الحياة قصيرًا، ولا يملك من الأمل إلا القليل، وأحيانًا يكون بلا أمل نهائيًا؛ بل يكون يئوسًا وقنوطًا.. فإن قصر الأمل يؤدي إلى اليأس، واليأس من الشيطان، فقد قال تعالى: { لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ } (الزمر:٥٣).

فعندما يكون الإنسان بلا صبر ولا قوة تحمل؛ يمّل وييأس ويفقد الأمل ويترك العمل، ربما لأنه يرى أن الأمر الذي يريده صعب الحدوث فيفقد الأمل في الأسباب، أو ربما لأنه يريد نتائج سريعة للعمل الذي يعمله، فعندما يعمل ويبذل جهدًا ثم لا يجد نتيجة سريعة أو حدث بعض المعوقات أو الصعاب؛ يمل وييأس ويترك العمل.

فإنَّ النوع الأول والنوع الثاني كلاهما مذموم، لأن سواء طول الأمل أو قصر الأمل يجعل الإنسان يترك العمل، والأمل لا يكون أملاً حقيقيًا إلا بالعمل.

أما النوع الذي نبحث عنه هو الأمل الحقيقي، الذي يكون عند الإنسان عندما يحلم بحلم معين ويضع أمله في الله ويعمل ويسعى ويجتهد ويأخذ بكل الأسباب ويتوكل على الله ويكون يقينه في الله أن الله سبحانه وتعالى سيحقق له ما يريد ويتمنى بإذن الله.

فإنَّ الأمل الحقيقي هو الذي يدفع الإنسان إلى العمل والسعي. فالإنسان الذي عنده أمل حقيقي هو الذي يعرف أن أمله لا يمكن أن يتحقق بدون العمل والأخذ بالأسباب ويضع كل أمله في الله سبحانه وتعالى، فهو يعرف أنه حتى إذا فقد الأمل في الأسباب فإنه لا يمكن أن يفقد أمله في مُسّبب الأسباب لأن الله سبحانه وتعالى بيده المقادير، وهو القادر على أن يغير الكون كله في ثانية، وهو

القادر على أن يجعل الأمر المستحيل الحدوث يحدث في ثانية، قال تعالى: {إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ}(يس:٨٢)

وهو القادر على أن يزيل الصعاب ويبّسر الأمور ويحول المحن إلى منح، والقادر على أن يحقق للإنسان كل ما يحلم ويتمنى.

فإذا تأكد الإنسان من هذه الحقيقة استراح واطمأن وعرف أنه عليه الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله واليقين بالله من بداية الأمر إلى نهايته؛ بل إلى نهاية العمر.

ومن الجميل أن يجعل الإنسان لنفسه آمالاً للدنيا وآمالاً للآخرة، وأن يعمل لآمال الدنيا كأنه يعيش أبدًا، ويعمل لآمال آخرته كأنه يموت غدًا.

فمن المهم جدًا أن لا ينشغل الإنسان بآمال الدنيا فقط وينسى آمال الآخرة في رؤية الله ودخول جنته ومصاحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، بل إن الله سبحانه وتعالى حثَّنا على أن يكون عندنا رجاء في لقائه وأمل في دخول جنته والعمل من أجل ذلك، فقد قال تعالى:

{ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا } (الكهف: ١١٠).

لا تيـأس

فإن اليأس مصدره الشيطان الرجيم، فإنه خطوة من خطوات الشيطان ليجعلنا نفقد الأمل والثقة في الله، فقد قال تعالى:

{ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } (البقرة:١٦٨).

فإن استراتيجية الشيطان وخطته أن يجعل الإنسان ييأس ويفقد الأمل في الله، وعندما يفقد الأمل في الله ينسى رحمته وعطائه وفضله وأنه هو القادر على تغيير كل الأسباب لأنه مالك الكون فينساق الإنسان وراء وساوس الشيطان ويستمع لإغوائه ويفعل المنكرات والقبائح... فلو تأملنا لوجدنا أن اليأس قد يؤدي بالإنسان إلى سوء أخلاق وإلى ارتكاب الجرائم والإفساد في الأرض. فمثلاً ربما يوجد إنسان عنده ضيق في الرزق، فيلجأ إلى أخذ رشوة لأنه يريد أن يوسِّع على نفسه وعلى أولاده ولو بالرزق الحرام لأنه نسي خالقه ويئس من رزق الله فاستمع إلى وساوس الشيطان واتكل على نفسه فطوّعت له أكل الحرام. ولو أنه كان عنده أمل في الله سبحانه وتعالى الرزَّاق واعتمد عليه واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وتوكَّل على الله وأخذ بالأسباب لرزقه من حيث لا يعلم ولا يحتسب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا) (أخرجه ابن ماجه).

بل إن اليأس قد يجعل الإنسان يفقد الأمل في حياته نفسها ويحس أنها ليس لها معنى ولا قيمة ويوسوس له الشيطان بأن يفكِّر في التخلص من حياته كلها... فهل هذا كلام يُعقل؟ هل يعقل أن الحياة - التي رزقنا الله إياها وجعلها لنا فرصة لنستغلها في الخير وعمل الطاعات والصالحات وتكون لنا بوابة إلى الجنة - أن نتخلص منها؟ وبدلاً من أن تكون بوابة إلى الجنة تكون بوابة إلى الخلود في النار.. ثم لماذا يفكر الإنسان في مثل هذا الفعل الشنيع؟ ألا يحب نفسه؟ ألا يحب ربه؟ أهكذا بمنتهي السهولة نسي كل نعم الله عليه وفقد الأمل في رحمة ربه الحنان المنان.. ولكن الله سبحانه وتعالى العليم بنفوس عباده ويعلم أنه ربما يوجد إنسان يوسوس له الشيطان ويفكِّر مثل هذا التفكير فيقول له الله سبحانه وتعالى:

{ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } (النساء:٢٩).

انظروا إلى رحمة الله وأنه يقول لعباده لا تقتلوا أنفسكم إن ربكم رحيمٌ بكم. ولكن أين ظنكم الحسن بربكم؟ أين أملكم في رحمة ربكم؟ أين ثقتكم في فضله وعظمته وعطائه؟ أين ظنكم بحنانه وجوده؟ أين حرصكم على محبته ورضوانه؟ أين طموحكم في دخول جناته؟!.

وهكذا فإن اليأس آفة وخطوة من خطوات الشيطان ليجعلنا ننغمس في فعل المعاصي والمحذورات.

فبعدما عرفنا كل هذا، هل من الحكمة أن نيأس؟ هل من الحكمة أن نترك الأمل مهما كانت الضغوط والصعاب والعقبات؟..

والله الذي لا إله إلا هو عندما نلجأ إلى الله سبحانه وتعالى سيشرح صدرنا وييّسر أمرنا ويفرِّج همنا ويصلح حالنا بفضله ورحمته وكرمه، فقد قال تعالى:

{ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ } (الحجر:٥٦).

وقال أيضًا:

{ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ} (يوسف:٨٧).

فلنقل اللهم إنا نعوذ بك يا ربُّ أن نكون من الضالين أو من الكافرين، ولنلغِ اليأس من قاموس حياتنا ولننتبه حتى لا يتسلل إلى قلوبنا سواء بقصد أو بدون قصد، ولنجعل حياتنا مليئة بالأمل في الله والرجاء في رحمته والثقة في عطائه وفضله، وأن نحرص على رضوانه ومحبته.

أثر الأمل على النفس

إن الأمل له أثرٌ عظيم على نفس الإنسان، فعندما يكون عند الإنسان أمل فإن صدره ينشرح وقلبه يطمئن ونفسه تسعد لأنه يملك قوة خفية لا يراها إلا هو، يملك إيمانه ويقينه بالله ويملك أمله وثقته في رحمة ربه، فما أحلى هذا الإحساس؛ أن يرى الإنسان المستقبل بقلبه قبل أن تراه عينه، أن يرى نفسه وهو يحقق حلمه ويستمتع بحياته ويشعر بلذة الفرحة وهو يتنعم في فضل ربه ورحمته، قال تعالى:

{ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }

(يونس:٥٨).

ما أجمل هذا الشعور عندما يكون الإنسان على أمل ويقين أن الله سبحانه وتعالى سيحقق له أمله وحلمه، فهل نظن أن الله سبحانه وتعالى يرى عبده وهو آملاً في فضله راجيًا في رحمته ويرده خائبًا ؟.....لا والله، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِيي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا، أَوْ قَالَ: خَائِبَتَيْنِ) (أخرجه ابن ماجه).

ومن آثار الأمل أيضًا أنه يرفع الروح المعنوية للإنسان ويجعل ذهنه أصفى، فربما كان الإنسان جالسًا يفكِّر في مستقبله أو يبحث عن حلٍّ لمشكلته وعنده أمله ويقينه في الله ويتأمل ويتدبر فيكتشف سببًا جديدًا لم يلتفت إليه من قبل، فيأخذ به فتُحلُّ مشكلته، أو يفكِّر

في فكرة جديدة وجميلة تجعله يتميز ويتفوق في المجال الذي يحبه، وهكذا فإن الأمل فعلاً يفتح الباب للسعادة والهناء والتفوق بإذن الله.

والتدبر والتأمل من أهم العوامل التي تساعد الإنسان على إيجاد حلول أو أفكار جديدة، فعندما يسرح الإنسان بخياله ويفكّر بطريقة غير تقليدية، كثيرًا ما يجد الشيء الذي يبحث عنه ويساعده في تحقيق آماله وأحلامه.

ومن أكثر ما يساعد على التدبر والتأمل التفكر في الكون وخلق الله لذلك فقد قال أحد الصالحين: (تَفَكُر سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَة). ولقد دعانا الله سبحانه وتعالى إلى التفكر والتأمل في خلقه وذكر المتفكرين في خلق الله في القرآن الكريم، فقال تعالى:

{ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ . ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ } (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

فعندما يتفكَّر الإنسان في خلق الله يفكِّر بعقله كيف أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات بغير عمد، وجعل الأرض مستوية مع أنها كروية الأصل، وخلق الألوان المختلفة في البحار والزروع والدواب والناس، فكل هذا يدِّرب العقل على التفكير بشكل أعمق وتحليل ما يحدث حول الإنسان من أشياء وأحداث وتفسير أفضل للأمور.

من أين يأتي الأمل؟

هذا السؤال ربما يظن البعض أنه صعب الإجابة عليه، ولكن لكي نجيب عليه نسأل أولاً: من أين يأتي اليأس؟

اليأس يأتي من الواقع والظروف المحيطة عندما تدل كل المؤشرات أنه لا فائدة، أو عندما نأخذ بكل الأسباب ولا تحدث نتيجة فربما نُصاب باليأس أو على الأقل يقل الأمل بداخلنا.. لماذا؟ لأننا ركزنا تفكيرنا ونظرتنا للأمور على الأسباب التي حولنا وفقدنا الأمل فيها ففقدنا الأمل مطلقًا... ولكننا نسينا ما هو أعلى من كل الأسباب، نسينا أن الله سبحانه وتعالى هو مسبب الأسباب، فإن الأمل الحقيقي يكون في الله وفي رحمته التي وسعت كل شيء، في كرمه، في عطائه، في قدرته، في لطفه وعطفه بعباده.. هذا هو مصدر الأمل؛ أننا لا نركز على الأسباب بل ننظر ونركز على مسبب الأسباب الذي بيده كل شيء، الذي يغيِّر الكون برحمته وكرمه، وهو القادر على أن يغيِّر لك حياتك عندما تثق به وتتيقن فيه أنه هو وحده الذي يجلب لك ما تريد ويحقِّق لك ما تتمنى.

والله لو فكرنا هذا التفكير سنجد أن الأمل الحقيقي أشرق في أنفسنا، ومعنوياتنا ارتفعت، وذهننا أصبح صافيًا، ونستطيع أن نفكِّر أفضل ونأخذ بالأسباب أحسن.

ولكننا ننسى ونهتم ونركز على الأسباب والواقع والظروف، وننسى أن وراء هذه الأسباب الله سبحانه وتعالى، فلنعد ولنذكر ربنا ربَّ الكون ربَّ العرش العظيم وربَّ الملكوت الذي بيده مقاليد السموات والأرض وصاحب خزائن كل شيء.. ولكن الشيطان هو الذي ينسينا، فقد قال تعالى:

{ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُ } (الكهف:٦٣).

ولكن يجب علينا أن نتدارك هذا النسيان سريعًا ونتذكر، فقد قال تعالى:

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ } (الأعراف:٢٠١).

فلنعد إلى الصواب ونتذكر أن الله سبحانه وتعالى هو القادر على تغيير كل الظروف وإزالة العقبات وتحقيق الأماني وتحويل الأحلام إلى حقائق.

ولكن لابد من الأخذ بكل الأسباب مع التوكل على الله أولاً وأخيرًا، واليقين والثقة في الله سبحانه وتعالى أنه بيده التوفيق. وهذا معناه أن الاعتماد على الأسباب فقط والنسيان أو الغفلة عن مسبب الأسباب خطأ، كما أن اليقين بالله سبحانه وتعالى مع التواكل وترك العمل وعدم الأخذ بالأسباب خطأ أيضًا. ولكن خير الأمور الوسط والاعتدال وهو اليقين والثقة في الله مع العمل والأخذ بالأسباب والتوكل على الله في بداية الأمر ووسطه وآخره.

ولا داعي لليأس فإن اليأس من الشيطان، فقد قال تعالى:

{ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ } (الزمر: ٥٣).

فإن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب جميعًا حتى الكُفر؛ لو أسلم الإنسان وتاب إلى الله يغفر الله له.. فهل الذي يحمل ذنوبًا وخطايا يقنط ؟ لا.... فإن الله يأمره أن لا ييأس من رحمة الله، وأن يكون عنده أمل وثقة ويقين في رحمته وغفرانه.

وأنت أيها الإنسان الذي لك أمنية وأمل تريد أن تحققه، هل تفقد الأمل في رحمة الله أنه سيلبي لك طلبك؟..... لا والله.

فلقد وعدنا الله في كتابه العزيز أنه يلبي لنا آمالنا طال الوقت أو قصر، فقد قال تعالى:

{ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ } (إبراهيم:٣٤)

وقال تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ } (غافر: ٦٠).

فهذا وعدٌ صريحٌ من الله بالإجابة والحث على الدعاء.. وإن من شروط الدعاء اليقين في الإجابة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ادْعُوا رَبَّكُمْ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ) (أخرجه الترمذي).

ولعلنا نتناول مثلاً واقعيًا يحدث كثيرًا: الإنسانة التي تأخر زواجها ولم تجد الشخص المناسب لها، كلما تجد من هنَّ في سنها تزوجنَّ وأنجبنَّ وهي في مكانها بل ويتقدم بها العمر وتكبر وتكبر،

والظروف الاقتصادية سيئة، والرجال عزفوا عن الزواج؛ يتسرب اليأس إلى قلبها وتبدأ تكوِّن معتقدات خاطئة أن قطار الزواج فاتها وأنها راحت عليها وربما تنظر إلى نفسها أنها أقل من باقي النساء اللاتي تزوجن ولديهن أولاد، فإما أن ترضى بأي إنسان وهي تعلم أنه غير مناسب لها وأنها لن تكون سعيدة معه، أو تنقاد وراء اليأس وتجعله يتمكن منها ويسيطر على حياتها.

ولكني أقول للنساء والرجال في مثل هذه الظروف -أو أي ظروف أخرى صعبة- ...لا والله، فأنتِ إنسانة عظيمة معززة مكرمة مهما كان سنك أو شكلك أو ظروفك أو حياتك، وهذه هي الصفات التي وصف الله سبحانه وتعالى الإنسان بها، فقد قال تعالى:

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (الإسراء:٧٠).

يعني أن الله سبحانه وتعالى كرَّم بني آدم كلهم؛ المؤمن منهم والكافر؛ ومن تكريمه له أنه حمله في البر والبحر وهذا الحمل دليل على أن الإنسان مُكرَم ورزقه من الطيبات بل وفضَّله على كثير من خلقه. وأكبر دليل على أن الله سبحانه وتعالى كرَّم الإنسان أنه جعل الملائكة جميعًا؛ حتى الملائكة المقربين؛ يسجدون لسيدنا آدم عليه السلام، فقد قال تعالى:

{فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} (ص:٧٣)

وحتى إبليس أمره الله بالسجود لسيدنا آدم عليه السلام ولكنه أبى عندما غار منه لما رأى تكريم الله لسيدنا آدم عليه السلام عليه، وذلك عندما قال لله تبارك وتعالى:

{ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا . قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ } (الإسراء:٦١-٦٢).

وهذا يدل أيضًا على أن الشيطان عدوٌ للإنسان فلنتخذه عدوًا، فقد قال تعالى:

{ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } (فاطر:٦).

فهل بعد هذا نتبع الشيطان ونجعل اليأس يدب إلى قلوبنا سواء بقصد أو بدون قصد؟

ثم أنكِ معززة أيتها الإنسانة، فإن الله سبحانه وتعالى قال :

{ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } (المنافقون:٨).

فإن الله سبحانه وتعالى جعل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فإن الله تعالى هو الذي جعلك عزيزًا أيها الإنسان، ومن كان يريد أن يكون عزيزًا دائمًا فليكن مع الله دائمًا متيقنًا في الله راجيًا وآملاً في رحمته، فقد قال تعالى:

{مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا} (فاطر:١٠).

فإن الله هو القادر على أن يرزقِك في أي سن . فالذي رزقِك الحياة والمأكل والمشرب والتنفس؛ هو القادر على أن يرزقِكِ بما تتمنين،

بالزوج الصالح بإذن الله، ولكن تمسكي بالأمل في الله.. فو الله ليس بالسن، فالذي رزق التي في العشرين قادرٌ على أن يرزق التي في الأربعين والخمسين أيضًا. وكم من نساء رزقهن الله بالزوج الصالح وقد تجاوزن الـ٤٠ و٤٥...

وتحضرني قصة إنسانة صابرة راجية وآملة في رحمة ربها متيقنة به؛ لم تتزوج حتى تجاوزت الأربعين، وكانت دائمًا تقول أنا راضية بقضاء الله ولن أفقد الأمل في رحمته أبدًا.. وسبحان الله تزوجتْ وأنجبتْ طفلاً بارك الله لها فيه وجعله صالحًا برًا بوالديه. وكم نجد كثيرًا من هذه النماذج المبشرة.. سبحانك يا إلهي.

فإن فقدتم الأمل في الأسباب؛ فتمسكوا بالأمل في مسبب الأسباب العزيز الوهاب.

فرْ إلى الله

لو أنك تشعر بأن إيمانك ضعيف؛ لا تفقد الثقة بنفسك، أو تقول: أنا وحش، أنا إيماني ضعيف.. بل أنت مؤمن، ولكن هذه رسالة من الله أنه يريدك أن يقوى إيمانك أكثر، فاجعل الأمل العظيم في الله والثقة واليقين في رحمته الواسعة أنه هو القادر على أن يزيد إيمانك، فقد قال تعالى:

{هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ} (الفتح:٤).

ولو أنك تحس أنك بعيد عن ربنا، ولا تعرف من أين تبدأ الطريق إلى الله وتلجأ إلى نفسك وإلى من حولك وتنسى أن تلجأ إلى الله ولا تعرف كيف تهتدي، أول شيء تفعله: تذكر أن الله أقرب إليك من حبل الوريد، قال تعالى:

{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ } (ق:١٦).

واعلم أن الله يحول بينك وبين قلبك ويعلم ما تفكر فيه قبل أن تفكر فيه، قال تعالى:

{ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ } (الأنفال:٢٤).

فالجأ إلى الله وادعوه بهذا الدعاء: (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ).

وتذكر الآية الكريمة التي تقول: { **وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** }

(التغابن:١١).

فاستعن بالله ولذ به وفر إليه وتيقن أنه سيهديك ويحميك ويرحمك ويهيئ لك من أمرك رشدًا.

آمال تجمع بين الدنيا والآخرة

لأن حالك في الدنيا يدل على حالك في الآخرة

لو فيك بعض العيوب لا تستطيع التخلص منها، أو أحيانًا تحس بالخوف أو القلق أو التوتر، أو أنك مقصر في عبادة أو طاعة.. وحاولت كثيرًا أن تقوِّم نفسك ولكنك لا تستطيع، فيمكن أن تحس أنك (وِحش) وأنك ضعيف الإيمان وأن نفسك أو الشيطان أقوى منك، أو تذهب إلى أحد تستشيره فيقول لك أنت لا تستطيع أن تقاوم المعصية أو تصبر على الطاعة لأن في إيمانك ضعف، أو أنك تصاب بالخوف أحيانًا أو بالقلق أو بالتوتر لأنك ضعيف الإيمان وتحس أنك إنسان (وِحش) أو ضائع أو مُقصِّر فيدبُّ فيك اليأس ويتمكن منك، وبدلاً من أن تقترب إلى الله تظن في نفسك السوء وتنسى رحمة ربك وتبتعد أكثر وأكثر...

فهذا فخٌ من الشيطان للأسف يقع فيه كثير من الناس بأن يظن الإنسان في نفسه السوء وأنه ضعيف الإيمان، أو يتهم إنسانٌ إنسانًا آخر دون قصد أنه ضعيف الإيمان لأي سبب من الأسباب، فيساعد هذا في تسرب اليأس إلى قلبه.

ففي هذه الحالة تيقظ وانتبه لما تقوله لنفسك، أو يقوله الناس لك. فإنه كما يجب أن لا تفقد الأمل في الله؛ فيجب أن لا تفقد الأمل في

نفسك وتقول : أنا (وِحش) وأنا ليس فيّ فائدة.. فلا تقل هذا مهما كان فيك، فقد قال تعالى: { لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ} (الزمر:٥٣).

وليس معنى أنه يصيبك بعض الخوف أو القلق أو التوتر أنك (وِحش) أو ناقص الإيمان.. فطبيعي أن يمر الإنسان بمثل هذه الحالات، فقد قال تعالى:

{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ } (البقرة:١٥٥).

فإن الله تعالى ذكر أنه سيبتلي الإنسان بالخوف، والدليل على أن الخوف ليس نقص في الإيمان بل هي دعوة للتقرب من الله؛ أنه قال في آخر الآية { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } أنه إذا صبر الإنسان على هذا الخوف أو أي بلاء أيًّا كان وتقرب من الله أكثر؛ فإن الله سبحانه وتعالى يبشره؛ وما أدراك عندما يبشر الله سبحانه وتعالى عباده الصابرين؛.. فلا يتخيل الإنسان ما أُخفي له من نعيم وخير عظيم، فقد قال تعالى :

{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }
(السجدة:١٧).

فلنستعن بالصبر والصلاة لنفوز بهذا النعيم العظيم فقد قال تعالى:
{ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ }
(البقرة:٤٥).

وعندما يكون الإنسان فيه عيب يحاول أن يتركه ولا يستطيع، أو مقصر في طاعة أو عبادة ويجاهد نفسه ولكنه يتعثر فيتهم نفسه بأنه (وِحش) أو يتهمه الآخرون بأنه ضعيف الإيمان لأنه لم ينصلح حاله حتى الآن.. ولكن أقول لمن يقولون مثل هذا الكلام أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه العزيز:

{ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }
(العنكبوت:٦٩)

فسبحان الله، فهذا وعدٌ صريحٌ من الله أنه من يجاهد في الله خصوصًا من يجاهد نفسه فإن الله تعالى سيهديه إلى سبله، وكلمة سبل جاءت جمع يعني أن الله تعالى سيهديه سبل كثيرة وليس سبيلاً واحدًا. فيا لعظمتك ورحمتك يارب. ولكن الله تعالى ذكر في أوائل سورة العنكبوت التي ذُكرت فيها الآية السابقة:

{ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ } (العنكبوت:٦).

يعني أن الإنسان عندما يجاهد فهو يجاهد لنفسه، لذلك مهما تعثر فلابد أن يستمر في المجاهدة، وبإذن الله سيهديه الله.

ولهذا استعن بالله والجأ إليه واجعل الأمل واليقين في الله يملأ كل قلبك بأن الله سيعينك على التخلص من هذا العيب أو التقصير في الطاعة أو التخلص من ذنب معين، وأنه سبحانه وتعالى سيشفيك من هذا الخوف أو القلق أو التوتر، وأنه سيهدي قلبك ويشرح صدرك. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا

تَعْجَزْ) (أخرجه مسلم). ويساعدك على هذا كثرة الذكر والاستغفار والدعاء بيقين في الله وكل الأمل والرجاء في رحمته.

ونصيحتي لك أيها القارئ العزيز أن تستمسك بكتاب الله وتقرأه وتتدبر آياته - اللهم ارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار- فقد قال تعالى:

{ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } (الإسراء:٩).

فإنَّ هذا القرآن يهدي بإذن الله لكل الخير في الدنيا والآخرة ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم الثواب والأجر الكبير عند ربهم، ومن جمال وجلال الله أنه يبشر عباده في القرآن. سبحانك يا الله سبحانك.

فليظن المؤمن في نفسه خيرًا ولا يفقد الأمل في نفسه ويقوي ثقته في ربه، وليشجِّع المؤمن أخاه المؤمن ويظن بالله خيرًا أن الله سيأخذ بيده إلى طريق الخير والهداية إن شاء الله. فقد قال تعالى:

{ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا }

(النور:١٢).

وأختم هذا الجزء بقصة الرجل الذي قتل ٩٩ نفسًا فأراد أن يتوب ولم يفقد الأمل في نفسه أنه يمكن إصلاحها وأنه يعود إلى الله، ولم يفقد الأمل في ربه الذي يقبل التوبة عن عباده، فذهب إلى رجل

عابد وسأله: هل يمكن لي أن أتوب؟ فقال له العابد: أنت قتلت تسعًا وتسعين نفسًا فليس لك توبة، فوقع هذا العابد في الخطأ الشائع يئّسه من نفسه ومن رحمة الله فقتله الرجل، فأصبح قاتلاً لمائة نفس، ولكنه مازال لم ييأس من نفسه، ومازال راجيا رحمة ربه، فذهب إلى رجل عالم فسأله: لقد قتلت مائة نفس هل يمكنني أن أتوب؟ فأعطاه العالم الأمل وقال له: نعم يمكنك أن تتوب، ولكن لابد أن تهاجر إلى أرض صالحة غير الأرض التي أنت فيها ليجعله يخالط الصالحين ويترك أهل البلد التي قتل فيها ٩٩ نفسًا ولم ينصحه أحد بالخير أو يأمره بالمعروف أو ينهاه عن المنكر وقتل الناس... وفعلا فرح الرجل بالتوبة وخرج مهاجرًا عندما أعطى له هذا العالم الأمل وأخذ بيده وفتح له طريقًا يقرِّبه إلى الله.. ولكن الرجل وهو في نصف الطريق بين البلدين مات، فاختلفت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب هل هو من أهل الجنة أم هو من أهل النار، فإن ملائكة الرحمة قالت إنه خرج من بلده مهاجرًا إلى الأرض الصالحة ناويًا التوبة، ولكن ملائكة العذاب قالت إنه لم يفعل خيرًا قط في حياته، فبعث الله لهم ملكًا على هيئة بشر ليحكم بينهم، فقال لهم قيسوا الأرض هل كان أقرب إلى البلد التي كان مهاجرًا لها أم أقرب إلى البلد التي كان مهاجرًا منها، فإذا كان أقرب إلى الأولى فتأخذه ملائكة الرحمة وإذا كان أقرب إلى الثانية فتأخذه ملائكة العذاب.. فأوحى الله إلى الأرض التي كان مهاجرًا

لها أن تتقارب وإلي الأرض التي كان مهاجرًا منها أن تتباعد، فقاست الملائكة المسافات فوجدته أقرب إلى الأرض التي كان مهاجرًا لها بشبر. فأخذته ملائكة الرحمة وأدخله الله الجنة.

فما أوسع رحمتك يا رب، وما أجمل أن يأخذ المؤمن بيد أخيه المؤمن ويفتح له طريقًا للأمل.

لا تتوه من أحلامك وآمالك

ما أجمل أن يكون عند الإنسان حلم وهدف واضح يسعى إليه.. ولكن أحيانًا ينشغل الإنسان بمشاغل الحياة وينخرط في زحامها، أو ربما تقابله مصاعب ومعوقات تعطله عن أهدافه وأحلامه، فيلتهي الإنسان بمسئوليات الحياة ومشاكلها والتفكير في إيجاد حلول لها، وينسى حلمه وهدفه وينشغل عن السعي لتحقيق هذا الحلم.. فهذا خطأ فادح.

لا تقع في مثل هذا الفخ أبدًا، ولا تتوه من أحلامك وآمالك وتنغمس في مشاغل الحياة وصعابها، بل ركِّز على حلمك وهدفك واملك الإيمان أنك ستحقق هدفك مهما كانت الصعاب ومهما كانت مشاغلك، واجعل الثقة في الله واليقين في رحمته هو النور الذي يضيء لك الطريق في المصاعب والشدائد. فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول: (" اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيتَكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمَنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا).

وخطِّط لهدفك ونظّم وقتك واجعل الأولوية لأحلامك وطموحاتك، فعندما تحقِّق أحلامك ستحل الكثير من مشاكلك بإذن الله.

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها

في بعض الأحيان نُصاب بضيق وإحباط؛ وربما يأس؛ وربما نرى الدنيا سوداء في أعيننا، ولا يوجد فيها أي شيء جيد.. وكل ذلك ربما يكون لأسباب تافهة؛ أو حتى بدون سبب، وننسي الأشياء الإيجابية في حياتنا ونركز على الأشياء السلبية، وأن حياتنا سيئة ولا يوجد فيها شيء حلو، ولكننا لو نظرنا نظرة بسيطة جدًا لأنفسنا وإلى ما حولنا سنجد أنفسنا بجد نتنعم في نعم الله ورحمته التي لا تُعد ولا تُحصى. قال تعالى:

{ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ } (إبراهيم:٣٤).

فربما إنسانة ترى الدنيا سوداء، وأن هذا آخر المطاف أن زواجها تأخر، أو لأنها لم تنجب حتى الآن، وتركز على الشيء غير الموجود في حياتها وتنسى الأشياء الإيجابية، في حين أنها ربما يكون بين يديها نِعَم إن أحسنتْ استغلالها وشكرتْ الله عليها تستطيع أن تحوِّل حياتها جنة بإذن الله، ويظل عندها أيضًا كل الأمل واليقين في رحمة الله وكرمه أنه هو سبحانه وتعالى القادر على أن يرزقها بما تريد... أو إنسان آخر مثلاً أُصيب ببلاء معين وبسببه ربما يفقد الأمل في الحياة ويأس من رحمة الله ويهجر الدنيا كارهًا العيش فيها متمنيًا الموت، في حين أنه ربما يكون

عنده نعمة كبيرة لو أدرك قيمتها وعرف كيف يستغلها، وفي نفس الوقت صابرًا على ما هو فيه من بلاء؛ ربما انتقل نقلة كبرى في حياته وحقَّق نجاحات لم يكن يتوقعها.

المشكلة في بعض الناس أنهم يركزون على الجزء السلبي في حياتهم وينسون ما هم فيه من نِعَم الله التي لا تُعد ولا تُحصى، نعمة الأهل والصحة والمال والولد وكل النعم الجميلة التي رزقنا الله بها بنسب متفاوتة، أو رزقنا بعضها ولم يرزقنا البعض الآخر.

ولكن ماذا يفعل الإنسان الذي حُرم من نعمة غالية ويرى غيره يتمتع بهذه النعمة؟..

على هذا الإنسان أن يصبر على حرمانه من هذه النعمة ويتيقن في الله أنه سيرزقه بها بعد فترة، أو يعوضه عنها بنعمة أخرى.. وحتى إن لم يكن هذا ولا تلك، فمن المؤكد أن الله سبحانه وتعالى سيعوضه عنها في الآخرة، فإن العدل من أسماء الله الحسني فهو العادل الوهاب القادر على أن يعطي بدون حساب ويعوضك عن نعمة لم يعطيها لك أو نعمة أخذها منك بنعمة أخرى ربما تكون أفضل منها.

وكم رأينا من أناس كانوا محرومين من الإنجاب، ولكن مع دعائهم وصبرهم ويقينهم وأملهم في الله وتوكلهم على الله أعطاهم ما يتمنون وزيادة... وكم رأينا من نماذج أخرى حُرمت من نعمة

غالية وعوضهم الله عنها بنعم أخرى وبارك لهم في هذه النعم غير ثوابهم على صبرهم على الحرمان من النعمة، مثل الشيخ زكي عثمان الذي فقد نعمة البصر وأصيب بشلل في رجليه ولكن رزقه الله حفظ القرآن الكريم والعلم والصوت الجميل في تلاوة القرآن والتواشيح وأخذ الدكتوراه وأصبح رئيس قسم الثقافة الإسلامية في جامعة الأزهر، كما رزقه الله حُبَّ الناس، هذا بجانب ثوابه على صبره على حرمانه من نعم البصر والمشي على رجليه.

وحتى لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يحرم إنسان من نعمة ولم يعوضه عنها في الدنيا؛ بإذن الله في الآخرة سيجعل له بها قصورًا وأنهارًا ونعيمًا في الجنة جزاءً لصبره واحتسابه وأمله في الله وعدم قنوطه من رحمة الله.

فلو نظرنا إلى أنفسنا مهما كان فينا من تعب أو منغصات والله العظيم سنجد أنفسنا فعلاً في نعيم عظيم ورحمة الله التي تغمرنا التي ليس لها حدود، فلنملأ قلوبنا بالأمل في رحمة الله والأمل في الحياة ولندعُ الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا بالنعم التي لا نمتلكها ونشكر الله سبحانه وتعالى على النعم التي في أيدينا ونحافظ عليها، فقد قال تعالى { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ } (إبراهيم:٧)

وندعو الله سبحانه أن يبارك لنا في النعم التي عندنا.

ومن أهم أشكال شكر النعمة أن نتذكر النعمة ولا ننساها، وألا نجعل تركيزنا على الأشياء السلبية بل نركز على النِعم والأشياء الإيجابية في حياتنا، ونتحدث عن هذه النِعم التي منَّ الله بها علينا ونذكِّر أنفسنا والآخرين بنعم الله علينا وعليهم، فقد قال تعالى:

{ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ } (الضحى:١١).

ولنحافظ على النعمة بشكر الله عليها والتفكر في كثرة ما نتمتع به من نعم.

والله لو تعودنا على النظر إلى الأشياء الإيجابية في حياتنا وركزنا تفكيرنا على نعم الله علينا ستقل عدد المشاكل في حياتنا وسنكون في أغلب الأوقات في حالة نفسية ومزاجية معتدلة وجيدة لاعترافنا بفضل الله علينا.

ومن أشكال شكر النعمة أيضًا أن نساعد الناس بهذه النعم، ولا نتكبر بها عليهم - حاشا لله - بل نستغل ما رزقنا الله به من نعم في توصيل يد المعونة والمساعدة إلى من يحتاج إلى هذه النعم لترتفع عنده روح الأمل ويثق في رحمة ربه أنه يعوضه ويجعل أهل الخير يقفون بجانبه.

فمثلاً الذي يتمتع بالصحة ويستطيع أن يتبرع لمريض يحتاج لدمه فليعطه، والذي عنده نعمة المال ينفق من ماله في سبيل الله للفقير الذي حرم من نعمة المال حتى نحافظ على توازن الكون، من عنده

يعطي ويساعد من ليس عنده، ولنحافظ على ما في أيدينا من نعم ونشكر الله عليها، وليكن عندنا أمل أننا كما وقفنا مع غيرنا في السراء سيسخر لنا الله من يقف معنا ويأخذ بأزرنا في الضراء...

وبهذه الروح الجميلة ينتشر الأمل عند كل الناس بفضل الله.

احذر من لصوص الآمال والأحلام

ستجد بعض الأشخاص في حياتك يسرقون أحلامك بكلامهم وأقوالهم لك، وربما يكونون أقرب الناس إليك، يقولون لك كلامًا سلبيًا وهم لا يقصدون ولا يعرفون أن هذا الكلام ربما يكون السبب في تدمير إنسان.. مثلاً، أنت فاشل، أو أنك لن تنفع، أو أنك لن تنجح.. وربما يتأثر الإنسان بكلامهم، بل ويملأ كل عقله وكيانه ويصدق أنه فاشل وأنه لن ينجح أبدًا.

لذلك يجب على الإنسان أن يكون عنده ثقة كبيرة جدًا في الله وثقة كبيرة بنفسه مستمدة من ثقته بالله ولا يحكم على نفسه من خلال كلام الآخرين عنه؛ حتى لو كانوا أقرب الأقربين؛ ولا يقدِّر نفسه من خلال تقدير الناس له، فإن قدروه قدَّر نفسه، وإن لم يقدروه نزل من نظر نفسه.

فكن قويًا واعتمد على الله واعتمد على نفسك، اعمل قلبك وعقلك، وخذ من كلام الناس ما هو خيرٌ لك، فإن كان كلامهم خيرًا فخذ منه ما ينفعك، وإن كان كلامهم شرًّا فلا تلتفت إليه ودعك منه ولا تعره اهتمامًا، لأنه يوجد بعض الناس يعرفون أن كثيرًا من الناس يتأثر بكلام الآخرين ويحكمون على أنفسهم من خلال حكم الناس عليهم، فربما إنسان أراد تدمير إنسان بالكلام السلبي وهدم ثقته بنفسه إلى أن تصل إلى مرحلة التحطيم المعنوي.

فقد كان هناك شاب في دولة أجنبية يحلم أن يكون المدير العام لأكبر فندق في هذه الدولة، ولكنه شاب صغير فقير ولديه أسرة يتكفل بها، فكان عليه أن يبدأ السلم من أوله، فذهب لمدير أحد الفنادق ليعمل في الفندق وقابل المدير، ولكن المدير طرده وقال له ليس لك عمل عندي أنت فاشل ومستحيل أن تنجح، فتلقى الشاب هذه الكلمات بقلب واثق في الله أنه لن يضيعه وأنه سيوفقه وواثق من نفسه ومن قدراته وبعزيمة صلبة وروح وهمة عالية وقرَّر أن يجعل هذه الكلمات دافعًا له على النجاح والتقدم للأمام، وذهب الشاب إلى فندق آخر وبدأ السلم من أوله وعمل بغسيل الصحون وأخذ يترقى ويترقى إلى أن أصبح مديرًا لأكبر الفنادق في كندا.. وكان هذا الشاب هو الدكتور "إبراهيم الفقي" عالم التنمية البشرية.

فإن كثيرًا من الناس يتعرضون إلى لصوص الأحلام ومثبطي الهمم والعزائم، وأول من تعرض إلى هذا الامتحان الأنبياء، فقد كانوا يدعون أقوامهم إلى عبادة الله الواحد الأحد ولكن أقوامهم الضالين المكذبين كانوا يتهمونهم بالكذب والضلالة والسفاهة؛ كما حدث مع سيدنا نوح وهود وصالح عليهم السلام.

ففي قوم سيدنا نوح قال تعالى:

{ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ } (الأعراف:٦٠).

ولكن سيدنا نوح عليه السلام ردَّ بكل ثقة بالله وثقة بنفسه:

{ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ }
(الأعراف:٦١)

وفي قوم سيدنا هود عليه السلام قال تعالى:

{ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ } (الأعراف:٦٦).

فكان ردُّ سيدنا هود عليه السلام بمنتهى القوة والعزم والتقدير لنفسه:

{ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ }
(الأعراف:٦٧).

فقد كان كل نبي من هؤلاء الأنبياء واثقًا في ربه وواثقًا في نفسه، لم يهتز من كلمات هؤلاء الكفرة الظالمين، ولم يفقد الثقة في نفسه، ولم يترك دعوته خشية أن يقال عنه أي شيء من هذا الكلام السلبي، فقد كان كل نبي من هؤلاء الأنبياء -عليهم جميعًا السلام- يعقل ويعرف نفسه جيدًا، لا يدع غيره يفقده الثقة في نفسه ويسيّره في الطريق الذي يحبه غيره ولا يحبه هو، بل كان كل واحد منهم على طريقه مستعينًا بالله قويًا شامخًا معتمدًا على الله ثم معتمدًا على نفسه معتزًا بنفسه وبعقله وبقدراته.

بل إن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خير البشر وصاحب أكبر وأهم رسالة في العالم وهي الدين الإسلامي- قال تعالى: { وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ } (الأنبياء:١٠٧) - تعرض لهذا الامتحان،

فقد كذَّبه المشركون وقالوا عليه مجنونًا وشاعرًا وكاهنًا وأنه يقول أساطير الأولين، فقد كانوا يقولون عليه هذا الكلام لأنهم يعلمون أن أغلب الناس يتأثرون بكلام الآخرين، فقالوا هذا الكلام ليجعلوه صلى الله عليه وسلم يضطرب ويفقد ثقته بنفسه ويفقد الناس ثقتهم به ويترك رسالته، ومن كثرة ما قالوا عنه هذا الكلام قال تعالى:

{ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } (القلم:٢-٤).

فقد مدح الله سبحانه وتعالى نبيه أن محمدًا صلى الله عليه وسلم الذي تقولون عليه مجنونًا إنه أفضل الخلق، وله أجر ونعيم كبير، وإنه على خلق عظيم ، وجعل الله عز وجل هذا الثناء قرآنًا يقتدي به من يتعرضون لمثل هذه المحن الذين يقال لهم أو عليهم كلامٌ سلبيٌ ومضرٌ لكي يتأسوا ويقتدوا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يصدقون هذا الكلام، بل يثقون بالله العظيم ويثقون بأنفسهم وفي عقولهم وقدراتهم.

فتخيل معي لو كان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فقد الثقة بنفسه وتأثر بكلام المشركين؛ ومنهم أقرب الأقربين عمه أبو لهب؛ وصدّقهم وحكم على نفسه من خلال كلامهم عليه وقال لنفسه: إنه ربما أكون فعلاً مجنونًا وأنهم يمكن عندهم حق، هل حقًا يوجد وحي أم يخيل لي، ربما يُخَيل لي، ربما فقدتُ عقلي - ويبدأ يصدق نفسه ويكبِّر الكذبة في رأسه - وأنه ليس لي قيمة بل هم معهم حق،

هل واحد مثلي يُقال عليه مجنون يستطيع أن يحمل رسالة ؟ لا سأترك الرسالة وأجلس في بيتي لا أقابل أحدًا ولا أحد يقابلني حتى لا يقول أحد على هذا الكلام مجنون أو شاعر أو كاهن.

لو كان النبي فكَّر هذا التفكير لتدمر وتحطم وتحطمت الرسالة ولم نكن مسلمين الآن، ولكن الحمد لله لأن النبي صلى الله عليه وسلم قوي واثق في ربه وواثق في نفسه وفي عقله وفي قدراته، مستمد هذه الثقة من الله عز وجل، ثبت واعتمد على ربه وأزاد ثقته في نفسه وواصل كفاحه وطريقه للوصول لهدفه وهو تبليغ الرسالة، فما أعظمه صلى الله عليه وسلم وما أثبته وما أعظم ثقته بربه وثقته بنفسه.. عندما جاء المشركون ليساوموه ليترك الرسالة وعرضوا عليه المال والجاه والزعامة وجعلوا عمه أبا طالب وسيطًا بينهم وبينه، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (وَاللَّهِ يَا عَمِّ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي شِمَالِي ، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أو أَهْلِكَ فِيهِ).

فأقول لمن تعرض لمثل هذا الاختبار من كلام سلبي فليثق بربه وليثق بنفسه وليدع الله أن يثّبته كما فعل سيدنا موسى عليه السلام عندما أمره الله بدعوة فرعون إلى الإيمان بالله وحده، فقد كان سيدنا موسى عليه السلام خائفًا من بطش فرعون و من أن يقتله لأنه قتل رجلاً من قومه، وقد يتساءل البعض وهل خاف سيدنا موسى عليه السلام؟.. فإن سيدنا موسى عليه السلام بشر ومن

طبيعة البشر الخوف، ولكنه لم يستسلم لخوفه ولم يترك أمر الله، بل دعا الله أن يثبته ويعينه ويجعل معه أخاه سيدنا هارون عليه السلام ليؤازره. فدعا ربه قائلاً:

{ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا } (طه:٢٥ - ٣٥).

وقال أيضًا:

{ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ }

(الشعراء: ١٢ - ١٤).

ويتضح من الآيات أن سيدنا موسى عليه السلام مرَّ عليه حالات خوف وضيق من مجرد فكرة أنه سيذهب إلى فرعون، ولكنه انتصر على هذا الخوف والضيق واستعان بالله وسأل الله تعالى أن يجعل له من يعينه على أمره.

فليسأل كل منا الله تعالى أن يرزقه بمن يعينه على أمره ويثبته على طريق الحق والثقة بالله والثقة بالنفس.

ومن كل ما سبق يتضح أهمية الكلمة للإنسان سواء في الكلمة التي يسمعها الإنسان أو في الكلمة التي يقولها. فإن الإنسان لا بد أن

يحذر وهو يستمع لكلام الآخرين حتى لو كانوا أقرب الأقربين، فيأخذ منه الكلام الإيجابي ويشكر الله عليه ولا يلتفت للكلام السلبي أو آراء الناس السلبية فيه أو يحكم على نفسه حكمًا خاطئًا من خلال حكم الناس عليه، بل يثق في الله ويثق في نفسه وفي قدراته.

وليتق الله كل إنسان في الكلمة التي يقولها وليعلم أن كلمته ستؤدي إلى جنته أو إلى ناره وأنه ينفع نفسه أو يضرها بكلمته قبل أن ينفع غيره أو يضره بها. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أو عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) (أخرجه الترمذي)، فلنركز فيما نقوله لأنفسنا ولغيرنا ولنجعل كلماتنا طيبة تحمل كل المعاني الطيبة والتشجيع والثناء، فرب كلمة تقال لشخص تجعله ينبغ نبوغًا عظيمًا ويكون أجر نجاحه لقائل هذه الكلمة الطيبة، فقد قال تعالى:

{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ } (إبراهيم:٢٤ - ٢٧).

ويتضح من آيات الله أن الكلمة الطيبة ثابتة وينفع الله بها قائلها وسامعها، والكلمة الخبيثة ليس لها قرار لا تضر إلا قائلها، وأن الله يثبت المؤمنين بالقول الثابت والكلام الطيب..

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ) (أخرجه البخاري).

فليقل كل منا الكلام الطيب ويُشجِّع نفسه ويُشجِّع غيره بالكلام الطيب وفي نيته أن يُحيي نفسه ويُحيي غيره بهذه الكلمة الطيبة ويكون شعاره: { **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا** } (المائدة:٣٢).

حيادية المشاعر

قال تعالى: { لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ }
(الحديد:٢٣)

هذه قاعدة قرآنية هامة جدًا.. إن الله سبحانه وتعالى يوصينا أن لا نأسى ولا نحزن على شيء فاتنا ولا نفرح بشيء آتانا. فهذه الآية الكريمة تدعونا إلى حيادية المشاعر، فمن الخطأ أننا عندما نأمل في شيء نضع كل مشاعرنا وأحاسيسنا في هذا الأمل والحلم بدون تحكيم العقل، فإذا لم يحدث هذا الأمل من أول مرة أو تأخر أو لم يتحقق؛ نتألم ونتحسر لأننا وضعنا كل مشاعرنا وأحاسيسنا في هذا الأمل واندفعنا وراء عواطفنا، فربما نصاب بخيبة أمل وإحباط.
وعلي العكس فربما نكون منتظرين شيئًا وضعنا كل أملنا فيه ثم حدث، فنفرح فرحة غامرة بشكل زائد، ويكون هذا أيضًا خطأ. فإن الاعتدال في كل شيء مستحب حتى في المشاعر.

وليس معنى هذا أننا لن نحزن على ما فاتنا نهائيًا، ولن نفرح بما آتانا نهائيًا، بل نحزن بالقدر المعقول الذي لا يسبب لنا آلامًا وجراحًا، أو نفرح بالقدر الذي لا يجعلنا نندفع وراء فرحتنا وتعمينا الفرحة ولا نقدر الأمور بمقدارها الصحيح.

فمثلاً: ربما يفقد إنسان وظيفته التي كانت تدخل له دخلاً جيدًا، فيحزن ويصاب بخيبة أمل وإحباط ويقرر أنه سيبقى في منزله ولن يبحث عن عمل آخر ومبرره أنه فاشل ولن يفلح في أي وظيفة.. فهذا إفراط في الحزن نهانا الله سبحانه وتعالى عنه.

ومثال آخر: ربما توجد فتاة قد تأخر زواجها ثم بعد طول انتظار تقدم شخص لخطبتها ففرحت فرحة غامرة بدون تفكير وأنهت إجراءات الزواج سريعًا، وبعد الزواج اكتشفت أن زوجها سيء الأخلاق ويسيء معاملتها ويضربها ويأخذ أموالها.. كل ذلك لأن الفرحة أعمتها وجعلتها تتعجل ولا تتأنى حتى تختبر الشخص الذي ستقضي معه باقي عمرها.

لذلك يجب علينا عندما يكون عندنا أمل في شيء نأمل في الله أملاً كبيرًا ليس له حدود ونأخذ بجميع الأسباب، ولكن نضع في بالنا احتمالية أن هذا الأمر الذي أملنا فيه ربما يتأخر أو لا يحدث من أول مرة فلا نصاب بخيبة أمل أو إحباط، بل نراجع أنفسنا ونرى هل قصّرنا في شيء، ونستخير الله سبحانه وتعالى ونستشير؛ فربما يكون هذا الأمر شرًّا وعدم حدوثه نعمة من الله لا ندركها.

فهناك بعض الأمور في حياتنا تكون ظاهرها خير، ولكنها في حقيقة الأمر شرٌّ، قال تعالى:

{ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ} (البقرة:٢١٦).

طبعًا هذا في بعض الأمور وليس كلها، وهذا ليس معناه أن نتنازل عن أملنا، ولكن نستخير الله سبحانه وتعالى ونستشير أصحاب الرأي الراجح حتى يهدينا الله سبحانه وتعالى إلى الخير.. وإذا اطمأن قلبنا إلى هذا الأمر أنه خير نحاول ونصر ونتمسك بأملنا وحلمنا وندعو الله تعالى ونحاول مرارًا وتكرارًا حتى يتحقق لنا أملنا بإذن الله.

لا تحـزن

أحيانًا يضع الإنسان كل أمله في حلم أو هدف معين ويسعى إليه ويأخذ بكل الأسباب ولم يتبقَ إلا أن يتم هذا الأمر، ولكن قدر الله يأتي بأن لا يتم هذا الأمر ولا يحدث؛ ولو قبل لحظات من الموعد الذي كان سيتم فيه هذا الأمر، ففي مثل هذا الحدث سيحزن الإنسان حزنًا شديدًا وربما ييأس ويفقد الأمل إلا من رحم ربي.

ولكن على الإنسان الذي يضع أمله وثقته في ربه بأربعة أشياء حتى يتعدى المحنة بفضل الله:

- أولاً: قول إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ، والصبر.

قال تعالى: { وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ } (البقرة:١٥٥-١٥٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا) (أخرجه مسلم). كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى) (أخرجه ابن ماجه). فعندما نسمع الخبر السيئ نستعين بالله ونتماسك ونستعين بالصبر والصلاة قال تعالى:

{ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ } (البقرة:٤٥)

- ثانيًا: الرضا بأمر الله.. وأن نذكر الآية الكريمة:

{ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ} (البقرة:٢١٦).

فعلينا أن ننظر إلى الأمور من وجهة نظر أخرى، لا ننظر إلى الجزء السلبي فقط فعسى أن يكون هناك جزء إيجابي ونحن لا نراه، وحتى إن لم يكن موجودًا من وجهة نظرنا ولا نستطيع أن نراه فنتأكد أن لله حكمة في هذا ونتصرف بحكمة العاقل بأن نغتنم هذه الفرصة لننال الثواب العظيم إن شاء الله بأن نتحلى بالصبر وأن نتمسك باليقين في رحمة الله وأملنا وثقتنا في فضل الله أنه سيعوضنا عن ما فقدنا.

- ثالثًا: عدم الاستكانة والمرونة

ليس معنى الرضا بأمر الله الاستكانة والضعف لما هو مقدر وترك الأمر كله وعدم السعي، قال تعالى:

{ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ } (آل عمران:١٤٦).

بل يجب على الإنسان أن يعيد ترتيب أوراقه ويرى كيف سيتصرف ويكون مرنًا ويكون عنده بدائل، فليس معنى أن ما يريده أن يحدث؛ لم يحدث، أن يترك الأمر كله، بل عليه أن يسعى ويجد ويطرق بابًا ثانيًا وثالثًا ورابعًا وعاشرًا حتى يمن الله عليه ويفتح له الأبواب ويحقق له ما يريد بإذن الله وبفضله.

رابعًا: احسن الظن بالله..

فقد قال تعالى في الحديث القدسي: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ) (رواه مسلم).

فلنغتنم هذه الفرصة الرائعة التي أعطاها لنا الله تبارك وتعالي أننا عندما نظن بالله الخير فلنا ما ظننا بإذن الله.

فلنظن في الله أنه سيعوضنا عن ما فقدنا عشرة أضعاف وأكثر، ونذكر سيدنا أيوب عليه السلام عندما ظن بالله سبحانه وتعالى الخير ودعا الله أن يفرج عنه ما هو فيه من مرض وفقر ووحدة إلا زوجته، ففرج الله تعالى عنه وشفاه وآتاه أهله ومثلهم معهم، قال تعالى: { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ } (الأنبياء:٨٣)

وكان الرد من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى:

{ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ } (الأنبياء:٨٤).

فوالله إنها لفرصة عظيمة أن نغتنمها (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)، فلنظن بالله سبحانه وتعالى كل الخير ونحن الفائزون بإذن الله في الدنيا والآخرة.

لا تتعجب من رحمة الله

أحيانًا يكون عند الإنسان أملٌ قويٌ في شيءٍ معين، ولكن الأسباب التي أمامه ليست متيسرة، بل توحي أن حدوث هذا الأمر أو هذا الأمل تقريبًا مستحيل، فيفقد الأمل.

ولكن إرادة الله ورحمته في أحيانٍ كثيرة تفاجئ الإنسان بما لا يتوقع ويحقق الله سبحانه وتعالى للإنسان ما كان يتمنى وفقد فيه الأمل.. فلذلك لا تفقد الأمل أبدًا في عطاء الله، ولا تتعجب من رحمة الله عندما تأتي إليك.

فلقد كان سيدنا زكريا عليه السلام يدعو ربه أن يرزقه الولد، رغم أنه كبر في السن وضعف جسمه ويريد ولدًا يعينه في الدعوة إلى الله.. قال تعالى:

{ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا }

(مريم:٢ - ٦).

لقد كان سيدنا زكريا عليه السلام يدعو الله سبحانه وتعالى وكله أمل في رحمة الله وعطائه وفضله، مع أن الأسباب أمامه غير متيسرة فهو كبير في السن وامرأته عاقر لا تنجب، ومع ذلك ظلَّ

أمله في الله موجودًا ولم يكن بدعاء ربه شقيًا.. فأجابه الله سبحانه وتعالى، قال تعالى:

{ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا } (مريم:٧).

ولكن سيدنا زكريا عليه السلام تعجب من أمر الله برغم أنه لم يفقد الأمل في رحمة الله ولكنه تعجب لأن كل الأسباب توحي بعكس ذلك، فقال:

{ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا } (مريم:٨).

ولكن الله سبحانه وتعالى ردَّ على تعجبه، قال تعالى:

{ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا } (مريم:٩).

لقد قال الله سبحانه وتعالى أنه أراد هذا، قال تعالى:

{ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ } (يس: ٨٢)

وأن رزقه لسيدنا زكريا عليه السلام بالولد شيء هين عليه برغم عدم توافر الأسباب ولكن.....من مسبب الأسباب؟ هو الله سبحانه وتعالى القادر على تغيير كل الأسباب وقلب كل الأوضاع.

وكذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجته السيدة سارة قد كبرا في السن ولم يرزق سيدنا إبراهيم عليه السلام منها بالولد وكل

الأسباب أيضًا تدل على استحالة الإنجاب، ولكن البُشرى من الله جاءتهما مع الملائكة أنها ستلد، قال تعالى:

{ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ} (هود:٧١).

ولكنها تعجبت من هذا الأمر ولم تصدق أن المعجزة ستحدث وأنها ستلد في هذا السن قال تعالى:

{ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ } (هود:٧٢).

فلامتها الملائكة على تعجبها من أمر الله، قال تعالى:

{ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ } (هود:٧٣).

من أجل كل ذلك لا تتعجب من أمر الله عندما يأتي إليك برغم أن الأسباب قد تبدو مستحيلة لحدوث أملك وما تتمنى، ولكن مسبب الأسباب قد يفاجئك ويرزقك من حيث لا تحتسب ولا تتوقع، ورحمته تغلب كل الأسباب المستحيلة.. لذلك لا تتعجب من رحمة الله واحمده واشكر فضله وادعوه وارجوه ولا تفقد الأمل في كرمه وفضله أبدًا.